أَثَرُ التَّشيُّع في شعر أبي فراس الحمداني

الأستاذ الدكتور خالد الحلبوني*

الملخص

عبَّر أبو فراس الحمداني عن محبته لآل البيت النبوي، ومجَّد أعمالهم، وذكر مناقبهم الفاضلة، وأخلاقهم الحميدة، فهم السادة والقادة على مرِّ التاريخ.

كما تحدَّث عن المحن والمصائب التي عانى منها آل البيت، كالقتل، والأسر، والتعذيب، والسباب، وسَلْب الخلافة منهم على امتداد دولتين كبيرتين، هما: الدولة الأموية، والدولة العباسية.

وندَّد بالأعمال التي قام بها خصومُ آل البيت دون وجه حق، فهم طغاة عُتاة متجبرون، فدعا إلى الانتصاف للدين، والانتقام لأنصاره الحقيقيين.

وهذا كلّه يقود إلى القول: إنَّ أبا فراس عبَّر عن آرائه ومعتقداته بصدق وإخلاص، وكان متألماً لما حدث مع آل البيت، كثير الحسرة، عميق الألم، يحدوه أمل كبير لعودة الحق إلى أصحابه، مهما تتالت الأيام، وغبرت السنون.

* قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق

مقدمة:

كثيراً ما نسمع بأبي فراس الحمداني فارساً مغواراً، يقتحم لجج الوغى، وتتداح على لسانه أرق الأشعار وهو مأسور في سجن الروم، فكانت تلك الأشعار مصدراً موثقاً للمعلومات عن حياته: فكراً وعاطفة.

ولم ينل هذا الشاعر حظه عند القدماء، إذ لم يدخل شعره في مجال النقد، ولم يُكتب فيه كتاب مستقل، ولم يختصم العلماءُ حول شعره، كما اختصموا حول شعر المتنبي، حتى كان بحق مالئ الدنيا وشاغل الناس.

وطال ذاك الإجحاف والجَوْر، حتى قارب عُمرَ النبي نوح عليه السلام، وجاء العصر الحديث فَقُدِّم أبو فراس الحمداني شاعراً عبقرياً، ودُرِس شعره من نواحٍ متعددة، بدءاً من الباحث فؤاد أفرام البستاني، وحتى كتابة هذا البحث.

إلا أن المستشرقين سبقوا الباحثين العرب إلى الاهتمام بأبي فراس، ففي عام (1913م) صدرت (دائرة المعارف الإسلامية) وفيها بحث للمستشرق الفرنسي بلاشير؛ الذي رفع من قدر شعر أبي فراس، وجعله أروع من شعر المتنبي[1].

كما كتب المستشرق الألماني كارل بروكلمان بحثاً آخر، قال فيه: «تمتاز أشعاره بطابع شخصه القوي الواضح، وهي أقرب ما تكون إلى اليوميات، ولو أنها لا تختلف في أسلوبها عن أشعار معاصريه، وهي ليست في روعة أشعار المتنبي»[2].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، 1933م، (638/1).

(2) المصدر السابق (387/1).

وحمل المستشرق (آدم ميتز) وِزْر التعصب حين قال عن أبي فراس: «الكثير من شعره في الفخر ليس إلا خيالاً لا حقيقة وراءه، ولا أرى في القصائد التي قالها في سجنه ببلاد الروم إلا أنها نثر مسجوع»(3).

إزاء هذا الإجحاف والقصور؛ رأيت أن أدرس جانباً من شعر أبي فراس، ألا وهو: أثر التشيع في شعر أبي فراس الحمداني، وهو جانب مهم، وذلك أن الحمدانيين كانوا شيعة إمامية، وأبو فراس أشهر شعراء الشيعة في العصر العباسي(4).

ولم يكن الحمدانيون طارئين على التشيع، بل إن الحسين بن حمدان ــ مؤسس الدولة الحمدانية ــ كان شيعياً(5).

ونستطيع أن نلحظ اندفاع الحمدانيين، وحماستهم للتشيع؛ قبل أن يتسنَّم البويهيون والفاطميون مقاليد الحكم، وقد ظهر ذلك الاعتقاد، وتعمق، ونما، وازدهر في شعر شاعرين كبيرين، هما: المتنبي، وأبو فراس(6).

ولم يكن أبو فراس بِدْعاً في تبني التشيع، والإيمان به، والإقرار بمبادئه، والدفاع عنه، ومناوأة خصومه، فقد كان العصر الذي عاش فيه هذا الشاعر يعج بالفكر الشيعي؛ الذي أخذ بالامتداد في أكثر من مكان.

ولم ينتشر التشيع وحده، بل رافقه التصوف جنباً إلى جنب، حتى صارا «أصلين مهمين من أصول الشعر العربي»(7).

---

(3) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم ميتز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبعة القاهرة، 1961م، (449).

(4) عصر الدول والإمارات ــ الشام، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، (ص 185).

(5) أعيان الشيعة، لمحسن الأمين العاملي، طبعة دمشق، ط1، 1945م (350/25).

(6) شعر أبي فراس الحمداني، د. عبد اللطيف عمران، دار الينابيع، دمشق، ط1، 1999م، (ص181).

(7) فن المنتجب العاني وعرفانه، د. أسعد علي، طبعة بيروت، ط2، 1980م، (ص162).

تشيُّع الشاعر أبي فراس الحمداني:

يتخذ تشيع أبي فراس دلالات واتجاهات متنوعة، تصبُّ كلها في دائرة كبيرة، عنوانها: التمسك بالمذهب الشيعي، والإيمان بمبادئه، والوقوف في وجه خصومه.

وقد تتبَّعتُ هذه الدلالات والاتجاهات في ديوان أبي فراس، فوجدتُها تتوزع وفق المحاور الآتية:

المحور الأول: الإعلان عن محبة آل البيت.

المحور الثاني: المحن التي تعرَّض لها أهل البيت.

المحور الثالث: التنديد بخصوم آل البيت.

المحور الأول: الإعلان عن محبة آل البيت:

أكَّد أبو فراس حبه لآل البيت، وتعلقه بهم، فأضفى عليهم الصفات العُلى، والسِّمات السامية، فهم الدوحة النبوية الغرَّاء، والسادة على الناس بشمائلهم ونسبهم.

ورأى أنهم أهل للشفاعة يوم الدِّين، حتى إنه قرن حب الإمام علي بن أبي طالب بحب النبي صلى الله عليه وسلم، وحب من ينتمي إليه كابنته فاطمة، وولديها الحسن والحسين رضي الله عنهم، يقول:

لستُ أرجو النَّجاةَ من كل ما أخـــ ـــــشاه إلا بأحمـــد وعلــــيِّ
وببنتِ الرسولِ فاطمـــة الطُّهْـــ ـــــر وسِـــبْطَيْهِ والإمــام علـــيِّ
فَـــبِهِمْ أرتجـــي بلـــوغَ الأمـــاني يوم عَرْضِي علـى الإلــهِ العَلِــيِّ(8)

ويسري حبُّ آل البيت في نفس أبي فراس؛ من خلال تعداد أسماء الأئمة الاثني عشر، مما يشير إلى أمرين:

---

(8) ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، حققه وشرحه الدكتور محمد ألتونجي، طبع المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، 1987م، (319).

أولهما: أن الحمدانيين ــ وعلى رأسهم أبو فراس ــ كانوا اثني عشرية، وهم فرعٌ من الإمامية.

ثانيهما: أن الشاعر تشفَّع بهؤلاء الأئمة، وهم الذين وَرَدَ ذكرهم في كتب الشيعة[9].

فأنشأ قصيدة أنهى كل بيت فيها باسم الإمام علي، وإن اختلف مؤدى الاسم في كل مرة[10]:

لستُ أرجو النَّجاةَ مــن كــل مـــا أخـــــ ـــــشاهُ إلا بأحمــــــد وعلـــــيٍّ
وببنـــــتِ الرســــولِ فاطمــــة الطُّهـــــ ـــــر وسِـــبْطَيه والإمـــامِ علـــيٍّ
والتقـــيِّ النقـــيِّ بـــاقرِ علـــمِ الـــــ ـــــلهِ فينـــا محمـــدِ بـــن علـــيٍّ
وابنـــهِ جعفـــرٍ وموســـى ومـــولا نـــا علـــيٍّ أكـــرِمْ بـــه مِـــنْ عَلِـــيٍّ[11]
وأبي جعفرٍ سَمِيِّ رسول الـــــ ـــــلهِ ثـــم ابْـــنِه الزَّكـــيِّ عَلِـــيٍّ[12]
وابنـــه العـــسكريِّ والقـــائمِ المُظْـــ ـــــهِرِ حقِّـــي محمـــدِ بـــنِ عَلِـــيٍّ[13]
فَـــبِهِمْ أرتجـــي بلـــوغَ الأمـــاني يومَ عَرْضـــي علـــى الإلـــهِ العَلِـــيِّ[14]

(9) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، د. سعود عبد الجابر، مؤسسة الرســالة، بيــروت، ط1، 1981م، (ص270).

(10) أبو فراس الحمداني، د. النعمان القاضي، دار الثقافة، مصر، 1982م، (ص188).

(11) جعفر: هو جعفر الصادق، وهو الإمام السادس.

وموسى: هو موسى الكاظم، وهو الإمام السابع.

وعلي: هو علي الر؟؟؟، وهو الإمام الثامن.

(12) أبو جعفر: هو محمد الجواد الملقب بالتقي، وهو الإمام التاسع، وعلي: هو أبــو الحــسن علــي الهادي، الإمام العاشر.

(13) العسكري: هو الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر، ومحمد بن علي: هو الملقب بالمنتظر، وهو الإمام الثاني عشر.

(14) ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص319).

ولا يكتفي أبو فراس بذكر الأئمة الاثني عشر في قصيدة واحدة، بل نظم قصيدة أخرى؛ عدَّد فيها أسماءهم أو كناهم، وجعلهم شفعاءه إلى جانب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

وفي هذا تعبير عن صدق الشاعر في تشيعه، وإماميَّته، وموالاته للأئمة، ومحبته لذكراهم، فهم قادة مذهبه، ودعائم عقيدته. يقول:

شـــافعي أحمـــدُ النَّبـــيُّ ومـــولا　　　يَ علـــيٌّ والبنـــتُ والـــسِّبْطانِ
وعلـــيٌّ وبـــاقرُ العلـــمِ والـــصَّا　　　دقُ ثـــم الأمـــينُ ذو التِّبيـــانِ[15]
وعلـــيٌّ ومحمـــدُ بـــنُ علـــيٍّ　　　وعلـــيٌّ والعـــسكري الـــدَّاني
والإمام المهـديُّ فـي يـوم لا يَنْـــ　　　ـــفعُ إلا غُفـــرانُ ذي الغُفْـــرانِ[16]

ومن دواعي المحبة لآل البيت أن أبا فراس أشار إلى فضل الإمام علي، ومكانته الرفيعة، وبيَّن أن القرآن الكريم ــ وهو الكتاب السماوي ــ نصَّ على الوصية بخلافة الإمام علي، وأنه صاحب الفضل والتقدمة على غيره، يقول:

لــو لــم تُنَــزَّلْ فيــه إلا قــد أتــى　　　مــن دونِ كــلِّ مُنَــزَّلٍ لَكَفــاهُ[17]

ومَنْ أحب شيئاً أكثر من ذكره؛ ليأنس بذلك، وتهدأ نفسه، فبذكر المحبوبين نشعر بالطمأنينة، ونؤكد حُبَّنا لهم، وتقديرنا لمقامهم.

---

(15) عليّ: هو زين العابدين بن الحسين، وهو الإمام الرابع.
باقر: هو محمد الباقر بن زين العابدين، وهو الإمام الخامس.
الأمين: هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وهو الإمام السابع.
(16) ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص303).
(17) ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص313). والآية المشار إليها هي: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً} [سورة الإنسان: الآية: 1].

وكذلك كان أبو فراس محباً لآل البيت، وعلى رأسهم الإمام علي، ولم يأتِ هذا الحب والتبجيل والاحترام من فراغ، بل استند إلى أعمال فاضلة، وسلوك إيجابي، صدر عن هذا الإمام؛ فارتقى به إلى درجة المحبوبية، وإن كان في الأصل محبوباً، فالتقى الأصل مع الفضل، فتمت المحبة، ونجم الإقرار بها. يقول:

مَنْ كان أوَّلَ مَنْ جنى القــرآنَ مــنْ لَفْـــظِ النَّبـــيِّ ونُطْقِـــه وتـــلاهُ؟
مَـــنْ بـــاتَ فـــوقَ فِراشـــه مُتنكِّـــراً لمَّـــا أَظَـــلَّ فراشَـــهُ أعـــداهُ؟
مَـــــنْ ذا أراد إلهُنـــــا بمقالِـــــه «الـــصادقون القـــانتون»[18] ســـواهُ؟
مَنْ خَصَّهُ جبريـــلُ مِـــنْ رَبِّ العُـــلا بتحيَّـــةٍ مـــن رَبِّـــهِ، وحَبـــاهُ[19]؟

وهذه المحبة والمقام العالي لا يصل إليه إلا أهل البيت، فهم الأتقياء الأنقياء، وهم السادة الذين تشرئب الأعناق إليهم، تطلعاً، وإقراراً، وإكباراً.

المحور الثاني: المحن التي تعرَّض لها آل البيت:

سار أبو فراس على نهج غيره من الشعراء؛ الذين ذكروا ما تعرَّض له آلُ البيت من المصائب والشدائد، وتأتي «**كربلاء**»[20] في مقدمة البلايا التاريخية، بكل ما فيها من قَتْل، وتعدٍّ، وظُلْم، وإزهاق لأرواح الأبرياء، وإسالة للدماء الطاهرة.

لقد «كانت حادثة كربلاء ــ تلك الحادثة المروعة المشؤومة ــ فاتحة طورٍ جديدٍ من أطوار الأدب الشيعي، كما كانت ذات أثر عميق في النفوس الإسلامية، والعقائد الشيعية، والحياة السياسية»[21].

---

(18)إشارة إلى قول الله تعالى: {الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار} [سورة آل عمران: الآية: 17].

(19)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص313)

(20)«كربلاء»: هي الموضع الذي قُتِل فيه الحسين بن علي في طرف البرية عند الكوفة، معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1957م، (445/4).

وصوَّر أبو فراس محنة كربلاء تصويراً أسطورياً مهولاً، فجعل الشمس تحمرُّ لمقتل الحسين بن علي ــ رضي الله عنهما ــ ولم يقبلْ عُذْراً لمن لا ينفطر قلبه حزناً على ما جرى، وتتقطع نفسُه حزناً وأسى، وتفيض العيون بالدموع الغزيرة. يقول:

يومٌ عليهِ تغيَّـرتْ شـمسُ الـضحى   وبكـتْ دمـاً ممَّـا رَأَتْـهُ سَـماهُ
لا عُـذرَ فيـه لِمُهْجـةٍ لـم تَنْفَطِـرْ   أو ذي بُكـاءٍ لـم تَفِـضْ عينـاهُ[22]

كما صوَّر الشاعر بعضَ الأحداث التي جرتْ في كربلاء، كمنع الماء عن الحسين ومَنْ كان معه، بل زاد الأمر سوءاً أن جُوبه بالرماح، فسالت دماؤه الطاهرة عوضاً أن يُسقى شربة ماء.

وتفجَّر الحقدُ لدى الخصوم الأمويين بأن فصلوا رأس الحسين عن جسده، وهو الرأس الذي كان يتكئ على حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وتمسُّه يداه الشريفتان، يقول:

إذْ قـال اسـقوني فَعُـوِّضَ بالقَنـا   مِنْ شُـرْبِ عَـذْبِ المـاءِ مـا أرواهُ
فـاحْتُزَّ رأسٌ طالمـا مِـنْ حِجْـرِهِ   أَدْنَتْـهُ كَفَّـا جَـدِّهِ ويَـداهُ[23]

ومن المحن التي تعرَّض لها آلُ البيت: مقتل علي الرضا مسموماً، حيث دسَّ له الخليفة المأمون سُمّاً في العنب، فمات من ساعته[24].

---

(21)أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. عبد الحسيب حميدة، مكتبة المثنى ببغداد، ومكتبة المعارف ببيروت، ط2، 1968م (ص159).
(22)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص 313).
(23)المصدر السابق، (ص313).

وكان المأمون قد خرج من بغداد، وأقام في (مرو)، ومال إلى آل البيت، ولبس الثياب الخضراء، وطرح السواد شعار العباسيين، ثم أعلن البيعة لعلي الرضا سنة (201هـ).

ولكن هذه البيعة جُوبهت باعتراض كبير؛ فلم يرضها الزعماء والقادة؛ لأنها تدعو إلى انتقال الخلافة من العباسيين إلى آل البيت أصحاب الحق، وكانت النتيجة مقتل علي الرضا، فأشار أبو فراس الحمداني إلى هذه المحنة بقوله:

باؤُوا بقتل الرِّضا مــن بَعْــدِ بيعتــهِ وأَبْصَرُوا بعضَ يومٍ رُشْدَهُمْ وعَمُوا[25]

وهكذا تستمر اللوعة على آل البيت إثر تعرُّضهم لمحن كثيرة، وبلايا شديدة، فقد أصابهم الأذى أينما حلوا أو ظعنوا، من قِبل أصحاب القلوب القاسية، والنفوس الحاقدة، دون الأخذ بأي اعتبار لآل البيت، ومقامهم العلي.

ومن المِحَن الكبرى التي تعرَّض لها آل البيت: مسألة الخلافة، فبنو عليٍّ هم الأحق بالحق ــ من وجهة نظر الشاعر ــ؛ لأنهم الأعلى نسباً، والأكثر فضلاً.

وفوق هذا أو ذاك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايع عليَّ بن أبي طالب يوم «غدير خُمّ»[26]، وجعله سيِّد المسلمين، ووليّهم، ومصطفاهم، والوريث

(24)تاريخ الأمم والملوك، للطبري، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيــروت، 1970م، (554/8 ــ 555)، والفخري في الآداب السلطانية، لابن الطقطقي، دار صــادر، بيــروت، 1966م، (ص218).

(25)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص260).

(26)«خم»: وادٍ بين مكة والمدينة عند الجحفة، به غدير. وقد خطب رسولُ الله صلى الله عليه وســلم عنده. معجم البلدان، لياقوت الحموي، (389/2).

الشرعي للخلافة. فضلاً عن نصِّ القرآن على فضل عليّ، وجليل شمائله، ورياض محامده. يقول:

إذْ قـــال يـــومَ غـــديرِ خُـــمٍّ مُعْلنـــاً «مَـــنْ كُنـــتُ مـــولاهُ فـــذا مـــولاهُ»
هـــذي وصـــيَّتُه إلـــيكم فـــافْهَمُوا يـــا مَـــنْ يقـــول بـــأنَّ مـــا أوصـــاهُ
أُقْروا من القُـــرآنِ مـــا فـــي فَـــضْلِه وتـــــأمَّلُوه وافْهَمُـــــوا فَحْـــــواهُ[27]

فلا وَجْهَ لإنكار الوصية النبوية، ولا ريب أن الإقرار بحق عليّ وآل البيت بالخلافة تؤيده النصوص الشرعية في الأصلين العظيمين: القرآن والحديث الشريف.

والتاريخ يؤيد ما ذهب إليه الشاعر من سلْب الخلافة، واستئثار الآخرين بها.

فقد دبَّر الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك قَتْلَ عبد الله بن محمد بن الحنفية ــ زعيم الشيعة الكيسانية ــ، فدسَّ له السُّمَّ وهو متجهٌ إلى الحُمَيْمة[28].

ولكن عبد الله بن محمد هذا لم يكن له عقبٌ يرثه، فأفضى بأسرار الدعوة الهاشمية ــ قبل موته ــ إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ونزل له عن حقه في الإمامة، وبذا تحوَّل زمام السلطة من آل البيت إلى العباسيين[29].

---

(27)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص313).

(28)الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيـروت، ط2، 1967م، (226/4 و253)، وفرق الشيعة، للنوبختي، صححه محمد الصادق، طبع النجف، العراق، 1936م، (ص27).
و«الحميمة»: موقع جغرافي مهم، يُشْرِف على خطّ القوافل، وعلى مقربة من ملتقى طـرق الحجـيج. وهناك دبَّر العباسيون أمورَهم، وأعدُّوا العُدَّةَ لدعوتهم التي لا مثيلَ لها في تاريخ الإسلام السياسي.
يُنظر: تاريخ العرب، للدكتور فيليب حتي ورفيقيه، دار غندور، بيروت، ط9، 1994م، (ص348).
ومعجم البلدان، لياقوت الحموي، (306/2).

(29)تاريخ الإسلام، للدكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المـصرية، القـاهرة ط7، 1964م، (10/2).

وقد عاضد الشيعةُ محمد بن علي العباس ليظفر بالخلافة، ووعدهم بإظهار دعوتهم، وإتمام أمرهم(30).

وعندما قُتِل مروان بن محمد ــ آخر الخلفاء الأمويين سنة 132هـ ــ وحُمِل رأسُه إلى أبي العباس السَّفَّاح، خرَّ ساجداً، وأعلن قيام الدولة العباسية(31).

وبهذا الإعلان تلاشت أحلام آل البيت وآمالهم؛ إذ تعرَّضوا لخديعةٍ كبرى من قبل العباسيين، بعد أن قاتلوا معهم، وناصروا قضيتهم(32).

وصحيح أن أبا فراس الحمداني قد تشدَّد في مسألة الخلافة مع الأمويين والعباسيين، لكنه كان متساهلاً مع الشيخين أبي بكر وعمر، وهو بذلك يخالف الشيعة الإمامية؛ الذين يشاركهم في كثير من المعتقدات، فربأ أبو فراس بنفسه من الوقوع في مستنقع ذمِّهما، والتطاول عليهما.

وهو يستدل بصحة خلافة الشيخين، والإذعان لهما بذلك؛ على أحقيَّة آل البيت باستلام مقاليد الخلافة، وذلك حين رأيا أن بني العباس غير جديرين بها، ولا يرقون إلى مستواها على مختلف الأصعدة. يقول:

ولا رآهُمْ أبو بكرٍ وصاحبُهُ أَهْلاً لِما طَلَبُوا منها ولا زَعَمُوا(33)

ولكنَّ هذا الموقف المتساهل مع خلافة الشيخين، لم يجعل أبا فراس يُقِرُّ لهما بذلك كل الإقرار، ولم يَرْضَ كلَّ الرضا؛ لأنه يؤمن بنصٍّ وصية الرسول صلى الله

(30)الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1960م، (ص332).

(31)الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (332/4)، والإمامة والسياسة، لابن قتيبة، صححه محمد محمود الرافعي، طبعة القاهرة، 1904م، (228/2).

(32)تاريخ العرب، للدكتور فيليب حتي ورفيقيه، (ص354).

(33)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص259).

عليه وسلم لعلي يوم الغدير؛ لذا **أنكر مسألة الشورى في الخلافة؛** فالنصُّ مُقدَّم على الشورى، وهناك أُناس كان لهم يدٌ في ستر الحق، وتغيير الحقائق؛ مما أدى إلى التنازع والتخاصم. يقول:

قام النبيُّ بها يومَ الغَديرِ لهمْ ... واللهُ يَشهدُ والأمْلاكُ والأُمَمُ
حتى إذا أصبحتْ في غيرِ صاحبِها ... باتتْ تُنازِعُها الغِرْبانُ والرَّخَمُ
وصُيِّرتْ بينهم شُورى كأنَّهمُ ... لا يَعْلَمونَ وُلاةَ الأمرِ أيَّهُمُ؟!
تاللهِ ما جَهِلَ الأقوامُ مَوْضِعَها ... لكنَّهم سَتَرُوا وَجْهَ الذي عَلِمُوا[34]

وهذا الموقف ليس بجديد في عالم الصراع السياسي، بل سبق أن أكَّده الكميت ابن زيد الأسدي (ت 126هـ) وهو شاعر يعتقد بمبادئ الشيعة الإمامية، ومنها: النص على خلافة الإمام علي بن أبي طالب بالاسم، وذلك يوم غدير خُم. يقول:

إنَّ الرسولَ ـ رسولَ الله ـ قال لنا ... إنَّ الإمامَ عليٌّ غيرَ ما هُجِرا
في موقفٍ أوقفَ اللهُ الرسولَ به ... لم يُعْطِه قَبْلَهُ مِنْ غيرِه بَشَرا[35]

وجاء الشاعر ديك الجن (ت 236هـ) ليؤكد أن علي بن أبي طالب هو المستحق لنيل الخلافة دون غيره، وأن ما حَدَث هو ظلم لخليفة آل البيت. يقول:

جَعَلُوكَ رابِعَهُم أبا حَسَنٍ ... ظَلَمُوا ورَبِّ الشَّفْعِ والوَتْرِ
وعلى الخلافةِ سابَقُوك وما ... سَبَقُوكَ في أُحُدٍ ولا بَدْرِ[36]

---

(34)المصدر السابق، (ص259).

(35)الروضة المختارة، لابن أبي الحديد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ومكتب التسويق التجاري، دمشق، ط1، 1972م، (ص82).

(36)ديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق مظهر الحجي، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1987م، (ص113).

وما سبق كلّه يدل دلالةً قاطعة على وقوف أبي فراس بجانب آل البيت، وعَرْض أبعاد المِحَن التي تعرَّضوا لها عبر التاريخ، وتسجيل مواقفه الواضحة دون مواربة أو لَبْس.

المحور الثالث: التنديد بخصوم آل البيت:

ندَّد أبو فراس الحمداني بخصوم آل البيت؛ الذين أقصوهم عن الساحة السياسية، وفرضوا عليهم طوقاً شديداً، كتم أصواتهم، وأغلق فم كل حرٍّ ينادي باسترجاع حقه، فكان كَمُّ الأفواه هو رأس السياسة العباسية المتبعة مع الشيعة وأنصارها.

ولم يكن هذا الأمر وليد الساعة، بل له خلفية تاريخية أقدم من أبي فراس، فقد عبَّر ديكُ الجن الحمصي عن ظاهرة لَجْم الألسنة، وعدم البوح بأي كلمة تخالف السياسة العامة للدولة العباسية، يقول ديكُ الجن:

أصـــبحتُ جَـــمَّ بلابـــلِ الـــصَّدْرِ   وأَبيـــتُ مُنْطَوِيـــاً علـــى الجَمْـــرِ
إنْ بُحْـــتُ يومـــاً طُـــلَّ فيـــه دمـــي   ولئنْ كتمتُ يَـضِقْ بــه صَـدْرِي(37)

وكذلك شَعَرَ أبو نُواس بهذا الضيق النفسي الذي يأخذ بتلابيبه، ويجعله يركن إلى الصمت دون أن يستطيع النطق ببِنْت شَفَة، اعتماداً على مبدأ التقية. يقول:

خَـــلِّ جَنْبَيْـــكَ لـــرَامِ   وامْـــضِ عنـــه بِـــسلامِ
مُـــتْ بـــداءِ الـــصَّمت خَيْـــرٌ   لـــكَ مِـــنْ داءِ الكـــلامِ
إنمـــا الـــسَّالمُ مَـــنْ أَلْـــ   ـــجمَ فـــاهُ بِلجـــامِ(38)

---

(37)ديوان ديك الجن الحمصي، (ص112).

(38)ديوان أبي نواس، حققه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ص 620).

وأشار أبو فراس إلى شيءٍ من هذا القبيل، وأنه يخفي في صدره شيئاً لا يقدر على البوح به؛ لأسبابٍ مختلفة. يقول:

يُصان مُهْــرِي لأمــرٍ لا أبــوحُ بـــه والدِّرْعُ والرمحُ والصَّمصامةُ الخَذِمُ[39]

وفي هذا إشارةٌ إلى سرٍّ مكتوم في نفس الشاعر، لا يستطيعُ التنفيس عنه، ولا التعبير عن مضمونه.

ولأمر ما ذكر الشاعرُ الدرعَ والرمح والسيف القاطع ــ وهي أدوات الحرب والمواجهة ــ فهل كان يُعِدُّ ذلك للانتقام من أعداء آل البيت؟! أم يتهدَّدهم بوسائل حربية؟!

وإلى جانب ذلك فقد انطلق أبو فراس يُندِّد بخصوم آل البيت، ويحطُّ من قيمتهم، بل يتوغل في أعماق نفوسهم، ليشكك في إيمانهم ومعتقدهم؛ لمخالفتهم كلام الله في قرآنه، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه، فيما يتعلق بفضائل آل البيت، وأحقيتهم في الخلافة.

وهكذا ينتقل الخصوم من مؤمنين متميزين إلى أشقياء محرومين. يقول مخاطباً العباسيين:

يا عُصْبَةً شَقِيَتْ من بعدِ مــا سَــعِدَتْ ومَعْشراً هَلَكُوا من بعدِ ما سَــلِمُوا[40]

وينعى أبو فراس على العباسيين أنهم لم يراعوا حق آل البيت، ولم يصونوا تلك القرابة والرحم التي بينهم، فغدروا بهم بعد أن استخدموهم لمهمات صعبة.

---

(39)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص258).

«الخذم»: خَذَم الشيء: قطعه بسرعة، فهو خَذِم، أي: قاطع. ويُوصف به السيف.

(40)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص260).

وأتى أبو فراس بصور مرعبة مقززة، تتمثل فيمن يغرز أظفاره بأجساد أبناء النبي صلى الله عليه وسلم السادة الأطهار. يقول:

أَأَنْـــتُم آلُـــهُ فيمـــا تَـــرَوْنَ وفـــي أظفارِكُمْ مـــن بنيـــه الطَّـــاهرينَ دَمُ؟
هيهات لا قَرَّبَـــتْ قُرْبـــى ولا نَـــسَبٌ يوماً إذا أَقْصتِ الأخـــلاقُ والـــشِّيَمُ[41]

وأخذ أبو فراس يُعدِّد بعضاً مما فعله العباسيون من أعمال يندى لها الجبين، وتدخل في سجلّ الظلم الذي وقع على الأبرياء.

فقد أمر أبو جعفر المنصور بجلد محمد بن عبد الله، الملقب بالديباج، وبشتم بنات النبي صلى الله عليه وسلم. يقول:

هلاَّ كَفَفْـــتُم عـــن الـــدِّيْباجِ سَـــوْطَكُمُ وعـــن بنـــاتِ رســـولِ اللهِ شَـــتْمَكُمُ
مـــا نُزِّهَـــتْ لرســـولِ الله صُـــحْبَتُه عن السِّياطِ فهـــلاَّ نُـــزِّه الحَـــرَمُ[42]؟!

ويشتد الموقف التاريخي بأبي فراس، وهو يستعرض مآسي آل البيت، وما فُعِل بهم من قتل، وأَسْر، وتشريد، وتعذيب.....فيصب جامَ غضبه على العباسيين بسبب مسلكهم البعيد عن الدِّين والحق والصواب، فهم يرتكبون الكبائر كالفجور، والقصف، والخلاعة، والمجون، ويدعوهم إلى كفِّ الأذى عن آل البيت، فهم عُبَّاد أتقياء، يواظبون على شعائر الدين، على عكس العباسيين؛ الذين يحيون بوجهين، وجه ظاهر صالح، ووجه باطن طالح. يقول:

يا باعةَ الخمرِ كفُّـــوا عـــن مفـــاخِرِكُمْ عـــن فتيـــةٍ وعَمَّـــالينَ إن عَلِمُـــوا
لا يغـــضبونَ لغيـــرِ اللهِ إن غَـــضِبُوا ولا يُـــضيْعُونَ حُكْـــمَ اللهِ إنْ حَلَمـــوا

(41)المصدر السابق، (ص260).
(42)المصدر السابق، (ص260).

تُنْـشَى الـتِّلاوةُ مـن أبيـاتهم أبـداً ... ومـن بيـوتكمُ الأوتـارُ والـنَّغَمُ
منكم عُلَيَّـةُ أمْ مـنهمْ؟ وكـانَ لكُـمْ ... شـيخُ المغنِّـينَ إبـراهيمُ أمْ لهـمُ؟!
مـا فـي ديـارهمُ للخمـرِ مُعْتَـصَرٌ ... ولا بُيـوتُهمْ للـسُّوءِ مُعْتَـصَمُ
الحجْـرُ والبيـتُ والأسـتارُ منـزلهُمْ ... وزمـزمُ والـصَّفا والـرُّكْنُ والحَـرَمُ
صلَّى الإلـهُ علـيهمْ أَيْنَمـا ذُكـروا ... لأنَّهم للـورى كهـفٌ ومُعْتَـصَمُ(43)

ومن خلال عقد مقارنة بين العباسيين وآل البيت؛ يتبين ما فعله العباسيون من خروج عن الجادة، وما اتصفوا به من سلوكٍ مُخْزٍ، أمام أولئك المتفرِّدين بفعل الخير، والعلم، والمحافظة على شعائر الله تعالى ومحارمه.

وها هو ذا علي بن أبي طالب يقدم كل خير للعباس، فيولِّي ثلاثة من بنيه، وهم عبد الله على البصرة، وعبيد الله على اليمن، وقُثَم على المدينة.

ولما جاء العباسيون، واستلموا زمام الأمور؛ إذا بهم يقلبون ظَهْرَ المِجَنِّ لآل البيت، ويقابلون أعمالهم الخيِّرة بكل سوء وفساد، فيقتل أبو جعفر المنصور محمداً النفس الزكية، وأخاه إبراهيم وبعضاً من أبنائهما. يقول أبو فراس:

أمَّـا علـيٌّ فقـد أدنـى قـرابتَكُمْ ... عنـد الولايـةِ إنْ لـم تُكْفَـرِ الـنِّعَمُ
هل جاحدٌ يـا بنـي العبـاس نِعْمَتَـهُ ... أبـوكُمُ أم عُبيـد الله أم قُـثَمُ؟!
بِئْسَ الجزاءُ جَزَيْتُمْ فـي بنـي حَـسَنٍ ... أبـوهُمُ العَلَـمُ الهـادي وأُمُّهُـمُ
لا بيعـةٌ رَدَعَـتْكُمْ عـن دِمـائِهِمُ ... ولا يمـينٌ ولا قُربـى ولا ذِمَـمُ(44)

---

(43)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص261 ـ 262).
(44)المصدر السابق، (ص259).

ومن التنديد والتقريع الذي استخدمه أبو فراس هو عقد مقارنةٍ بين الخلفاء العباسيين وبين أئمة آل البيت، وخرج بنتيجة أنه لا وَجْهَ للمقارنة بين هارون الرشيد وموسى الكاظم، فشتّان ما بينهما في الصفات والمقام! وكذلك لا يمكن لخليفةٍ عباسيٍّ كبير كالمأمون أن يضاهي الإمام علي بن موسى الرضا. يقول:

ليس الرشيدُ كموسى في القيــاسِ ولا   مأمونُكُمْ كالرِّضا إن أَنْــصَفَ الحَكَــمُ[45]

وعلى الرغم مما فعله الأمويون بآل البيت من تنكيل وأذى، فإن العباسيين تفوّقوا عليهم في مجال العداء لآل البيت، فَغَدْرُهم أكبر، وفسادهم أشد، وجُرْمهم أعظم.

ويستخدم أبو فراس أسلوب التنكير ليدل على ما فعله العباسيون من أعمال لا تُحصى ضد آل البيت، وكلها تحكي قصة الغدر والخيانة والإيقاع بهم. يقول:

ما نال منهم بنو حَــرْبٍ وإن عَظُمَــتْ   تلــــكَ الجرَائِـــــرُ إلا دُونَ نَــــيْلِكُمُ
كم غَدْرةٍ لكُــمُ فـــي الــدِّينِ واضــحةٍ   وكـــم دَمٍ لرســـولِ الله عنــــدَكُمُ[46]؟!

حتى قبور آل البيت لم تسلم من أذى العباسيين وجبروتهم، فالخليفة المتوكل قد شدَّد على آل البيت، وضيَّق عليهم، حتى إنه أمر بهدم قبر الحسين بن علي سنة (236هـ)، ومُنِع الناسُ من إتيان ذاك القبر، ونادى عاملُ الشرطة: «مَنْ وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بَعَثْنا به إلى المُطْبَق)[47] فهرب الناس، وحُرِث ذلك الموضع، وزُرِعَ ما حوله[48].

وإلى هذا أشار أبو فراس بقوله:

---

(45)المصدر السابق، (ص260).

(46)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص260) و«بنو حرب»: هم الأمويون. وحرب: جَدُّ معاويــة بن أبي سفيان.

(47)«المطبَق»: السجن تحت الأرض.

(48)تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (185/9).

لَبِئْسَ مـــا لَقِيَـــتْ مـــنهمْ وإنْ بَلِيَـــتْ　　　بجانب الطَّفِّ تلك الأَعْظُـــمُ الـــرِّمَمُ[49]

ومن ألوان التنديد بالعباسيين: السخرية منهم، فبعدما اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة، وأبعدوهم عن المظاهر السياسية، لم يحافظوا على ذاك المُلْك، ولم يصونوه، بل تركوا أمر الخلافة يتلاعب به الأعاجم الأعداء، والنساء، والخدم داخل القصور، مما دفع بأبي فراس ليُشهِّر بالعباسيين، ويعدِّد مقابحهم وعيوبهم، فقال:

بنـــو علـــيٍّ رعايـــا فـــي دِيـــارِهمُ　　　والأرضُ تملكُهـــا النِّـــسوانُ والخَـــدَمُ
أبلغْ لـــديكَ بنـــي العبـــاسِ مَأْلُكـــةً[50]　　　لا تـــدَّعُوا مُلْكَهَـــا مُلاَّكُهـــا العَجَـــمُ
أيُّ المفـــاخرِ أضـــحى فـــي ديـــاركُمُ　　　وغيـــرُكم آمِـــرٌ فـــيهنَّ مُحْـــتَكِمُ[51]؟!

وفي النهاية يُطلق أبو فراس صرخة تنديد بالدولة العباسية، وإثارة لعزائم الرجال المحبين لآل البيت، كي يتحركوا من أجل تحقيق العدالة، وإعادة الحق المغتصب إلى أصحابه الحقيقيين، فيكون انتقامهم خالصاً لوجه الله تعالى يقول:

يـــا للرِّجـــال! أَمَـــا لله مُنْتَـــصِفٌ　　　مـــن الطُّغَـــاةِ؟ ولا للـــدِّينِ مُنْـــتَقِمُ[52]

وأرى أنَّ أبا فراس الحمداني لم يطلق هذه الصرخة؛ إلا لشعوره بالضيق الشَّديد الذي يجول في نفسه، ولا يجد ملاذاً يعتصم به، أو يُنجيه مما هو فيه.

---

(49)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص261). و«الطف»: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه. معجم البلدان، لياقوت الحموي، (36/4).
(50)«مألكة»: رسالة.
(51)ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، (ص 258 و261).
(52)المصدر السابق، (ص 285).

وكأنه أرادها ثورة شعبية، تُندِّد بالظالمين، وتُمهِّد للقضاء عليهم، ومجيء السلطة الشرعية كي تستلم مقاليد الحكم من جديد، ولو طال الزمن.

الخاتمة:

صدر أبو فراس في شعره المذهبي عن نظرةٍ عقدية سياسية، أظهر فيها محبته لآل البيت، وعدَّد مناقبهم، وبيَّن مقامهم الذي لا يُضارَع.

كما تحدَّث عن المحن والألاقي التي عانى منها الشيعة في العصرين الأموي والعباسي، وما واجهوه من نكبات ومصائب، وهم ــ في الواقع ــ السادة القادة؛ لكنهم استُبْعِدُوا لأسبابٍ سياسية، بعد أن استولى الأمويون على الحكم العربي، وغرَّر بهم العباسيون، وعرَّضوهم لغدر منقطع النظير.

هذا كلّه جعل من أبي فراس ــ وهو الشيعي الإمامي ــ ينتفض؛ ليوظِّف قسماً من ديوانه لبيان وجه الحق، والدعوة إلى رفع الظلم، وجلاء عُوار خصوم آل البيت؛ الذين قام حكمهم على اغتصاب الخلافة، والغدر بعد إعطاء الأمان، والنكث بعد توثيق الأيمان، مع البطش الشديد بآل البيت وأنصارهم.

وكأن أبا فراس أراد مساندة الحكم الحمداني، عندما شدَّ من أزر آل البيت، وجاء بالشواهد التاريخية والعَقَدية لدعم الدولة الشيعية القائمة آنذاك ولو على بقعة صغيرة.

وكان لسان الشاعر قوَّالاً بالحق الذي آمن به، ودعا إليه، فلم يقبل أن يتخفى في عدائه للعباسيين، بل أظهر موقفه الحقيقي، وأعلن ــ انطلاقاً من مبدئه ومُعتقده ــ أن آل البيت قد تعرَّضوا لِما لا يُحتمل، فوجب عليهم إعلانُ انتمائهم، وشرح واقع حالهم دون مواربة، ولاسيما أن الدولة العباسية قد تعرَّضت لكثيرٍ من الضعف؛ بعد بروز كيانات شيعية مستقلة كالدولة البويهية، والدولة الفاطمية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1 ــ أبو فراس الحمداني، د. النعمان القاضي، دار الثقافة، مصر، 1982م.

2 ــ الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1960م.

3 ــ أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. عبد الحسيب حميدة، مكتبة المثنى ببغداد، ومكتبة المعارف ببيروت، ط2، 1968م.

4 ــ أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي، طبعة دمشق، ط1، 1945م.

5 ــ تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1964م.

6 ــ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، 1970م.

7 ــ تاريخ العرب، د. فيليب حتي ورفيقاه، دار غندور، بيروت، ط9، 1994م.

8 ــ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبعة القاهرة، 1961م.

9 ــ دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، 1933م.

10 ــ ديوان أبي نواس، حققه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت.

11 ــ ديوان الأمير أبي فراس الحمداني، حققه وشرحه د. محمد ألتونجي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، 1987م.

12 ــ ديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق مظهر الحجي، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1987م.

13 ــ الروضة المختارة، ابن أبي الحديد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ومكتب التسويق التجاري، دمشق، ط1، 1972م.

14 ــ شعر أبي فراس الحمداني، د. عبد اللطيف عمران، دار الينابيع، دمشق، ط1، 1999م.

15 ــ الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، د. سعود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981م.

16 ــ عصر الدول والإمارات ــ الشام، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1995م.

17 ــ الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي، دار صادر، بيروت، 1966م.

18 ــ فِرق الشيعة، النوبختي، صححه محمد الصادق، طبع النجف، العراق، 1936م.

19 ــ فن المنتجب العاني وعرفانه، د. أسعد علي، طبعة بيروت، ط2، 1980م.

20 ــ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1967م.

21 ــ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 1957م.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2011/1/26